كهوف عراق الأمير المقدسة

د. محمد وهيب•

عراق الأمير :-

تقع بلدة عراق الأمير غرب العاصمة عمان في منطقة وادي السير وإلى الغرب منها على مسافة أربعة كيلومترات ، ويحتوي الموقع على بناء قصر العبد والكهوف المجاورة التي تؤرخ للعصر الهلنستي ، إضافة إلى انتشار مخلفات من العصور البرونزية والكلاسيكية ، وتعددت أسماء المنطقة عبر العصور فنجدها سميت بيرثا وتعني الحصن وأحياناً تيرو وتيروس وتعني السور حيث ما زالت المنطقة تسمى بهذا الاسم. وقد أجمع عدد من الباحثين على أن الحاكم هيركانوس كان مقيماً فيها وتنسب إليه الأبنية الهلنستية التي تم الكشف عنها في هذا الموقع.

أولاً : كهف البصة :

تقع بلدة البصة على إحداثيات فلسطين ٢٢٣٠,٣٦ ١٤٩,٢٦ الخارطة رقم ٣١٥٣,١ . وفي عام ١٩٩٤ قام كاتب المقال بإجراء حفرية أمام بوابة الكهف لإنقاذ بعض المخلفات الأثرية التي ظهرت أثناء تنفيذ مشروع خدماتي في المنطقة ، وتبين بعد إجراء التنقيب الأثري وجود مقبرة تؤرخ إلى العصر البرونزي المبكر للحقبة الرابعة. وتم إجراء مسح أثري لمنطقة الكهف والأجزاء المحيطة به وأظهرت أعمال المسح الأثري ما يلي :

أولاً : بقايا مقابر مقطوعة في الصخر تحيط بمنطقة الكهف وخاصة من الجهة الشمالية الغربية حيث ما زالت تلك المقابر خير شاهد على استخدام المنطقة لأغراض الدفن خلال الفترة الرومانية والبيزنطية ، كما وجد بعض الخزانات وآثار قطع صخري منتشرة في كافة أنحاء المنطقة[1] ربما استخدمت لقطع الحجارة الكلسية التي استخدمت في أعمال البناء للكنائس التي أقيمت لاحقاً داخل وخارج الكهف المجاور وتم التقاط العديد من الكسر الفخارية التي تؤرخ إلى العصر البرونزي المبكر ، الهلنستي ، العصر الروماني ، العصر البيزنطي ، العصر الإسلامي / الحقبة الأموية. وعليه فقد أكدت نتائج المسح الأثري أهمية التواصل الحضاري في منطقة محيط كهف البصة منذ حوالي ٢٢٠٠ عام قبل الميلاد وحتى وقتنا الحاضر ، كما أكدت نتائج الدراسة الميدانية استمرار استخدام المنطقة لأغراض دينية جنائزية حيث تمثلت المكتشفات العمائرية واللقى الأثرية بالطابع الديني المرتبط بالحياة الروحية والتي تعتبر جزءاً هاماً من حياة الإنسان في تلك المنطقة.

• د. محمد وهيب ـ الجامعة الهاشمية ـ معهد الملكة رانيا للتراث

[1] تستخدم المنطقة حالياً مقبرة إسلامية حيث يتواجد بها ما يزيد على مئة قبر حيث بدأ الدفن فيها منذ مطلع القرن العشرين إضافة إلى إقامة مسجد قرب المقبرة الأمر الذي حال دون التعرف على امتدادات المقبرة الكلاسيكية ، إلا أن هذا الأمر يوضح استمرار استخدام المنطقة لأغراض الدفن.

ثانياً : تم إجراء موسم للتنقيبات الأثرية أسفل الأساسات الحجرية المتواجدة أمام كهف البصة وذلك بهدف إنقاذ بقايا مقابر من العصر البرونزي المبكر ، وقد تم إنقاذ وتوثيق أربعة مقابر على النحو الآتي :

القبر الأول : ذو شكل بيضوي يتم الدخول إليه من الجهة الشرقية ويبلغ طوله ٣,٣٠ متر وعرضه ٢,٣٠م وارتفاعه ١,٣٠م ، ويلاحظ أن المدخل الحقيقي للقبر وهو عمودي الشكل يقع أسفل الشارع الحديث المتواجد أمام الكهف وكشف فيه عن بقايا عظمية وكسر فخارية.

القبر الثاني : غير منتظم الشكل بسبب أعمال التجريف ويتضح أنه كان يتكون من حجرتين ويبلغ مجمل قياساته ٤,٣٠م وعرضه ١,٨٠م وارتفاعه ١,٧٠م ، ويتم الهبوط بثلاث درجات لدخول القبر من الجانب الشرقي كشف فيه عن بقايا هيكلين عظميين إضافة إلى سبعة أباريق وصحن وجرة فخارية.

القبر الثالث : ذو شكل دائري غير منتظم وتبلغ قياساته ٢,٥٠م طولاً و ٢م عرضاً وارتفاعه ١,٦٠ متر ، كشف فيه عن جرتين من الفخار وبعض الكسر العظمية.

القبر الرابع : مشابه للقبر الثالث من حيث الشكل وتبلغ قياسات حجرة الدفن ٢متر طولاً و ١,٧٠متر عرضاً وارتفاعه متر واحد ، كشف فيه عن بقايا جمجمة وكسر فخارية وعظمية.

وقد اتضح نتيجة الدراسة المخبرية للمكتشفات الفخارية وجود تأثيرات من سورية عليها، كما وجد شبيه لها في مناطق مجاورة في فلسطين (Kenyon, 1965 : 205). وعليه فإن مزيد من أعمال التنقيب ستجري في المنطقة للتأكد من امتداد هذه المقبرة البرونزية (Waheeb and Palumbo, 1994 : 57-61).

ثانياً : كهوف عراق الأمير :

أجرى كل من Lieutenant Mantel ليفتنانت مانتيل و Conder كوندر دراسة لموقع الكهوف وأشارا إلى أن عدد الكهوف بلغ خمسة عشر ، ستة منها في الطابق الأرضي وتسعة في الطابق العلوي ، كما لاحظا وجود مجموعة من الكهوف الصغيرة في الجهة الشرقية وأنه لا يوجد أدراج صاعدة تؤدي إلى هذه الكهوف ولربما كان يتم الوصول إليها باستخدام الحبال أو السلالم كما هو الحال في كهوف الرهبان.

ويمكن تلخيص قياسات هذه الكهوف على النحو الآتي :

الكهف	طوله	عرضه	ارتفاعه
الكهف الأول	٤٩ قدم	١١ قدم	١٧ قدم
الكهف الثاني	٣٨,٥ قدم	١١ قدم	٢٠ قدم
الكهف الثالث	٣٠ قدم	٨ قدم	٧ قدم
الكهف الرابع	٨-١٢ قدم	لم يحدد	٤ قدم
الكهف الخامس	١٤٣ قدم	٢١ قدم	١٢ قدم
الكهف السادس	٥٢ قدم	١٣ قدم	٢٥ قدم

الكهف السابع	٦ قدم	١١ قدم	٦ قدم
الكهف الثامن	٣١ قدم	١٦ قدم	٧ قدم
الكهف التاسع	١٧ قدم	لم يحدد	لم يحدد
الكهف العاشر	٢٢ قدم	١٤ قدم	١٤ قدم
الكهف الحادي عشر	٦٠ قدم	٣٣ قدم	٣٣ قدم
الكهف الثاني عشر	٢٢ قدم	١٣ قدم	لم يحدد
الكهف الثالث عشر	٦٠ قدم	٣٠ قدم	لم يحدد
الكهف الرابع عشر	٢٣ قدم	٩ قدم	لم يحدد
الكهف الخامس عشر	٩ قدم	٤ قدم	٦ قدم

ومما يلاحظ على هذه الكهوف أن أعمال التنقيبات الأثرية داخل هذه الكهوف قد دلت على وجود أدوات صوانية صغيرة الحجم مثل الشفرات والمكاشط (Microlithic Tools) أرخت إلى الفترة الناطوفية إضافة إلى أدوات مصنوعة من العظام كانت تستخدم للصيد ، مما يشير إلى أن سكان هذه الكهوف كانوا يقومون بالصيد حتى في نهر الأردن ، وعليه فإن هذه الكهوف قديمة في تاريخها وترجع إلى فترة ما قبل العصر الهلتسني مع إمكانية تشذيب أجزاء منها خلال تلك الفترة (الخيري ١٩٧١). كما يلاحظ على الكهوف العلوية وجود ممر ضيق يربط تلك الكهوف بعضها ببعض.

كما أن أكبر هذه الكهوف الذي يقع في نهاية الطرف الأيسر من الطابق العلوي حيث وجد على جانبيه بقايا حوالي ثمانون حوضاً صغيراً ربما كانت تستخدم لإطعام الخيل مما يشير إلى احتمال استخدام هذا الكهف لأغراض إيواء الحيوانات (اسطبل) بدليل العثور على عدد من مرابيط الخيل محفورة في الصخر ما زالت ثابتة لوقتنا الحاضر (McCown 1957)وانظر أيضاً (Zayadine 1997).

ووجد نقش كتابي يحمل اسم طوبيا على واجهة كهفين متجاورين من كهوف الطابق السفلي وخاصة كهف رقم (١٣) (Conder 18 89: 76)، انظر أيضاً (Dentzer 1999) .

ويشير المؤرخ جوزيفوس إلى كهوف عراق الأمير :

He also made caves of many furlong in length by hollowing a rock that was over against him and then he made large rooms in it, some for feasting, and some for sleeping and living in. he introduced also a vast quantity of waters, which ran along it, and which were very delightful and ornamental in the court.

But, still, he made the entrance at the mouth of the caves so narrow that no more than one person could enter them at once. (Josephus 12 Antiquities).

ومما يلاحظ على وصف جوزيفوس أنه أشار إلى أن هذه الكهوف كانت تؤدي وظيفتين محددتين وهما الإقامة والعبادة مما يشير إلى العناية الفائقة التي أولاها هيركانوس أثناء تشذيب هذه الكهوف ، على أنه من الممكن أن يكون هيركانوس قد استخدم الكهوف القديمة السابقة لعهده ومن ثم أضاف عليها بنحت بعضها لأغراض محددة ، ولربما بقيت الكهوف القديمة تستخدم من طرف بعض العاملين في بناء القصر المجاور للكهوف.

وفيما يتعلق بالمحاريب الصغيرة (Niches) التي وجدت بالقرب من الكهوف ومنحوتة على كتلة صخرية كبيرة ومنتظمة على شكل أربعة صفوف في كل صف ستة محاريب تبلغ قياسات الواحد منها ستة انشات فقد اختلف الباحثون في حقيقة تفسيرها فمنهم من جعلها لوضع الأسرجة (Zayadine 1982) إلا أن الغالبية من المتخصصين ربطتها بعادات الدفن والطقوس الجنائزية بحيث تحوي كل رماد الجثث[٢] وتم مقارنة ذلك مع ما وجد في البتراء وجرش (Horsfield 1938).

وحيث أن التشابه بين هذه المحاريب والكلومباريوم (Columbarium) فإن هذا التفسير ممكن مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه كانت جزءاً من قبر وأن موضعها الحالي على جانب الطريق ناتج عن حركات الزلازل والإزاحة التي أدت إلى تدمير العديد من الكهوف وخاصة البوابات.

ثالثاً : كنائس كهف البصة :

١- الكنيسة الداخلية :-

بدأت أعمال الحفر بتاريخ ١٩٧٤/٤/١٣م واستمر حتى ١٩٧٤/٥/١٢م ، وبدأ الحفر بمساحة ٤×٣ أمام واجهة الكهوف المزينة بالمثلث المزخرف بعدد من الصلبان وبالقوس السوري. وكان قد سقط جزء من هذا المثلث وقد أسفر الحفر عن ظهور الهواء ٦درجات مبنية من الحجارة تؤدي نزولاً إلى المدخل ، وعند نهاية الدرج ظهرت لوحة حجرية دائرية الشكل مكسورة وحفر في وسطها صليب ويعتقد بأنها كانت سطحاً لمائدة تستخدم الطقوس الدينية وجد جزء تابع لهذه اللوحة في داخل الكهف فيما بعد ، وقد وجد بعض الكسر الفخارية الإسلامية (أموية ومملوكية) بالإضافة إلى قطع من القرميد الأحمر وبعض العظام.

الغرفة الأولى :

بعد تنظيم مدخل الكهف من الحجارة الكبيرة المتثاقلة تم الدخول إليه عن طريق باب وهو مدخل الكهف ، له عامودان على الجانبين الأول في مكانه وتستند عليه واجهة الكهف أما الآخر فلم يبقى منه سوى قاعدته ارتفاعها ٨سم وقطرها ٣٠سم.

---

[٢] ذهب المنقب لاب إلى أن هذه الكتلة الصخرية ومحاريبها إنما ترمز إلى الصلابة والقوة ويشير إلى ما ذكره السيد المسيح لسمعان بطرس أحد حواريه (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني سكني) . (Lapp 1989)

ثم بعد ذلك يوجد ثلاث درجات تؤدي نزولاً إلى داخل الغرفة الأولى والتي مساحتها ١,٦٥ × ٢,٨٠م هذه الجدران الخاصة بالغرفة الأولى تعود إلى فترة لاحقة من العصر الأموي، حيث أقيمت فوق الأرضية البيزنطية وهذه الأرضية الفسيفسائية عبارة عن زخارف هندسية تشكل دوائر متداخلة في الوسط والإطار يتكون من زخارف هندسية أما الألوان فهي الأبيض ، القرميدي ، البرتقالي ، الأسود.

أما المكتشفات في الغرفة الأولى فهي النقود الذهبية والفضية وكسر فخارية إسلامية أموية عليها كتابة باللغة العربية وزخارف هندسية بالدهان الأحمر.

الغرفة الثانية :

في نهاية الجدار الشرقي للغرفة الأولى يؤدي إلى الغرفة الثانية وكانت هذه الغرفة مملوءة تماماً بالطمم والحجارة الضخمة المتساقطة ، لذا تم إزالة الطمم بشكل عامودي وليس أفقي ولم يتم تنظيف هذه الغرفة نظراً لصعوبة وخطورة الحفر ، حيث أن إزالة التراب تؤدي إلى سقوط الأحجار الضخمة التي كانت تسند السقف مما يؤدي بالنهاية إلى سقوط السقف مما أدى إلى عدم إتمام أعمال الحفر في الجانب الجنوبي.

أما الجانب الشمالي فقد توقف العمل على امتداد المسافة ما بين العمود في الزاوية الشمالية والغربية والذي يحمل القوس وحتى الزاوية الشمالية الشرقية. وأظهرت التنقيبات أن الفترات في هذه الغرفة أشارت إلى العصور الأولى أي (البيزنطية والإسلامية) ، وقد عثر في الزاوية الشمالية من الغرفة الثانية ما يشبه الموقد والأدلة على ذلك آثار لطبيعة حريق ، وقد وجدت الحجارة مزينة بشكل يدل على أن هذه الزاوية استخدمت كموقد بالإضافة إلى العثور على كسر فخارية لإناء كان يستخدم للطبخ عليه آثار الحرق.

وقد ظهرت أرضية فسيفسائية والتي هي بدورها امتداد للأرضية التي وجدت في الغرفة الأولى ، ولكن الاختلاف بينهما بحجم حبة الفسيفساء وكذلك اللون ، حيث أنها بالأولى كانت متعددة الألوان أما في الثانية لون واحد ، ومن هنا يمكن التنبه فربما تكون هذه فترة رومانية متأخرة ، وقد وجد في الجانب الشمالي من الغرفة الثانية قبر حفر في الصخر مغطى بإحكام ويبدو أنه لم يستعمل إذ أنه لم يوجد شيء بداخله سوى ما كان قد تسرب إليه من التراب ، أما في الجانب الغربي من الغرفة الثانية وجد مصطبة مبنية من الحجارة المشذبة مبنية بشكل معين فوقها نافذة ، وكذلك في الزاوية الشمالية والغربية يوجد عامود ارتفاعه ٢,٥م يقابله عمود آخر يرتكز على العمودين بين قوسين ، وهذا أمر غريب لكن يوجد مشابه له في (كهف الرقيم).

ومن خلال ما وجد يمكن القول بأن المخطط لهذا الكهف هو بازليكي على نمط الكنائس البيزنطية (رواق أوسط تحفه ثلاث أعمدة في كل جهة تحمل أقواساً ويحيط به من الجانبين رواقان ثم أضيفت الجدران القريبة للغرفتين المشار إليهما في الفترة الأموية).

وبعد ذلك توقفت أعمال الحفر دون تأريخ الكهف بدقة ، لكن ما وجد بداخله يدل على أنه استخدم لثلاثة عصور :

- العصر البيزنطي / من خلال الفسيفساء (٥٠٠-٦٠٠م).
- العصر الأموي / النقود الذهبية والكسر الفخارية (٦٦١-٧٥٠م).
- عصر المماليك / قطع فخارية امتدت من (١٢٦٠-١٤٠٠م). (زاهدة ، ١٩٧٤).

الكنيسة الخارجية :-

تم الكشف خلال عام ١٩٩٦/١٩٩٧ على أجزاء من الكنيسة الخارجية والتي يبلغ طول أضلاعها على النحو الآتي : الجنوبي ٢٠متراً ، الشرقي ١٠ متر ، الشمالي ٢١ متر ، وتتكون الكنيسة من طراز بازليكي ممن ثلاثة أروقة وأربعة غرف تحيط بالمحراب ومنطقة قدس الأقداس على النحو الآتي :

المحراب :

يبلغ متوسط نصف قطر المحراب ٣,٤٠متراً ويبلغ ارتفاع مداميكه الحجرية ١,٣٥متراً حيث بني من صفين من الحجارة إضافة إلى صفين من المقاعد ، أما أرضية المحراب فرصفت بمكعبات من الفسيفساء الملون ورسم عليها إناء يتفرع منه صوراً نباتية وحيوانية وأشكالاً هندسية ويحيط بالإناء كتابة باللغة اليونانية جاء فيها : (المسيح المخلص من البداية إلى النهاية ، يا رب يا موجود إلى الأبد يا مخلص اذكر العاملين الصانعين آمين).

الغرف :

أقيمت أربع غرف حول محراب الكنيسة من الجهتين الشمالية والجنوبية.

الغرف الشمالية :-

أ- الغرف الشمالية : بنيت من صفين من الحجارة وتبلغ قياساتها ٢,٩٠متراً وعرضها ١,٩٠متراً وارتفاع المداميك المتبقية منها ١,٦٥متراً ، ويتم الدخول إليها من بوابة في الجهة الغربية يبلغ عرضها ٧٥سنتمتراً ويتم النزول إليها بدرجتين ، بينما فرشت أرضيتها بالفسيفساء الأبيض.

ب- الغرف الجنوبية : تبلغ قياساتها ٢,٤٠متراً طولاً وعرضها ١,٧٥متراً ويبلغ ارتفاع المداميك المتبقية منها ١,٦٦متراً ، ويتم الدخول إليها من خلال الرواق الأيسر حيث يبلغ عرض الفتحة ١,٩٠ متر ويتم الدخول إليها من خلال درجتين.

الغرف الجنوبية :

أ- الغرفة الشمالية : بنيت من صفين من الحجارة وتبلغ قياساتها ٢,٥٠طولاً وعرضها ٢متراً ويبلغ ارتفاع المداميك المتبقية منها ١,١٥متراً وأرضيتها مفروشة بالفسيفساء الأبيض ويتم الدخول إليها عبر درجتين من خلال بوابة في الجدار الغربي عرضها ٦٠ سنتمتر.

ب- الغربة الجنوبية : بنيت من صفين من الحجارة وتبلغ قياساتها ٢,٢٠متراً وعرضها ٢,٠ متر وارتفاع المداميك المتبقية منها ١,٢٨متراً ، فرشت أرضيتها بالفسيفساء الأبيض ، ويتم الدخول للغرفة من الرواق الأيمن من مدخل يبلغ عرضه ١,٢٥ متر.

أروقة الكنيسة :

تتكون الكنيسة من ثلاثة أروقة على النحو الآتي :

الرواق الأوسط :

تبلغ قياساته طولاً ١١,٤٥ وعرضه ...متراً رصفت أرضيته بالفسيفساء الملون ورسمت عليها الأشكال النباتية والحيوانية والهندسية ، ترتكز على أربع قواعد حجرية لأعمدة في الجزء الشمالي ، وعلى ثلاثة قواعد حجرية لأعمدة والرابع مفقود في الجدار الجنوبي ، ويتم الدخول للرواق من الجدار الغربي من خلال بوابة أقيمت في الجدار عرضها ١,٤٠ متراً.

الرواق الأيمن :

تبلغ قياساته ١٩,٣٠طولاً وعرضه ١,٨٠متراً رصفت أرضيته بالفسيفساء الأبيض اللون.

الرواق الأيسر :

تبلغ قياساته ١٩,٨٥ وعرضه ٢,١٠متراً رصفت أرضيته بالفسيفساء الأبيض ويوجد بها بوابة عرضها ١ متر في الجدار الغربي تؤدي إلى كهوف مقبرية.

الممرات / المداخل :

توجد ثلاث ممرات تؤدي إلى الكهف والكنيسة وتقع إلى الشرق من الكنيسة.

المدخل الأوسط :

يبلغ طوله ٩ متر وعرضه ١ متر وأرضيته مبلطة برصفة من الحجارة الغير محكمة التشذيب ، أقيم عمودان في الجهة الشرقية يبلغ ارتفاعهما والقاعدة ١,٥٥متراً ويلاحظ أن جانبي هذا المدخل بنيت من صفين من الحجارة وأعطي عناية خاصة ربما كونه يؤدي إلى الكهف.

المدخل الأيمن :

يبلغ طوله ٩ متر وعرضه ٦٠م وقد رصفت أرضيته بحجارة غير مشذبة.

المدخل الأيسر :

يبلغ طوله ٩م وعرضه ١٨٥م ويلاحظ عدم انتظام عرض الممر ورصفت أرضيته بحجارة غير مشذبة. (الزبن ، ٢٠٠٢).

الخلاصة :-

أظهرت الدراسة الأهمية التاريخية من خلال المخلفات الأثرية لمنطقة عراق الأمير منذ العصور البرونزية وحتى نهاية العصر البيزنطي ، ودلت الاكتشافات الأثرية التي جرت في السفوح المطلة على وادي عراق الأمير أهمية المكتشفات الأثرية المتواجدة هناك منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد حيث يشاهد المرء بقايا المقابر ذات المدخل العمودي والحجرة البيضوية الشكل على جانبي الطريق المؤدي من قرية البصة نحو قصر العبد وهي تدل على كثافة انتشار المدافن في هذه المنطقة دون الوصول إلى اكتشاف أماكن المستوطنات التي أفرزت هذه المقابر ، حيث تتم تتبع هذه المخلفات ابتداء من قرية البصة ونزولاً نحو كهف البصة حيث تزداد كثافة هذه القبور في هذه

المنطقة وتم اكتشاف أربعة مقابر ، ثم نحو كهوف قصر العبد حيث تبدأ حقبة تاريخية أخرى وهي تلك الكهوف التي أشير إلى أنها ذات طرز عمائرية متنوعة وذات حجرات متعددة.

ولا يفوتنا مما سبق ذكره عن دور هذه الكهوف في إقامة بعض الطقوس الدينية مما يشير إلى الجانب الروحي ، على أنه لم يكتشف ما يشير إلى استخدام هذه الكهوف لأغراض دفن الموتى ، بل استمرت تؤدي وظيفتها لأولئك القاطنين في هذه المنطقة منذ القرن الثالث والثاني قبل الميلاد أي ما يعادل فترة العصر الهلنستي حيث كانت المنطقة تتأثر بالنفوذ المصري أو السوري تبعاً لقوة النفوذ الهلنستي في ذلك الوقت.

ولعل وجود المحاريب الصغيرة المسماة (Niches) قد أضاف بعداً دينياً إلى هذه الكهوف ودورها في الحياة الروحية والتفسيرات المختلفة في حقيقة الوظيفة المناطة بها كونها تمثل أماكن للرماد الناتج عن حرق الموتى ، أم محطات للحمام الزاجل .. إلخ.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال فصل الكهوف عن قصر العبد أثناء إجراء الدراسة الميدانيةنظراً لارتباط المكانين معاً من الناحيتين الجغرافية والزمانية ، وقد أكد عدد من الرحالة والباحثين الذين زاروا هذا القصر إلى دوره في الحياة الروحية الدينية مؤكدين أنهذا البناء يمثل معبداً ومن بينهم دي فوجيه الذي أجرى دراسة للموقع مؤكداً أن طراز البناء وعناصره المعمارية إنما تمثل معبداً ، ونشر ذلك في كتاب بعنوان (Temple de Jerusalem) (De Vogue 1964).

أما الرحالة دي سولي فقد أشار إلى أن هذا البناء إنما يمثل مركزاً دينياً يرجع إلى فترة العمونيين حوالي القرن ٩-٧قبل الميلاد مشيراً أنه كان مكرساً لعبادة الإله كاموش وأن تماثيل الحيوانات والطيور المتواجدة على واجهات البناء تؤكد الوظيفة الدينية للبناء ، وقام بعمل مخطط للبناء يظهر أجزائه العمائرية. انظر (Will and Larche , 1991).

كما أشار الرحالة بتلر إلى أن البناء يمثل معبداً بدلالة المنحوتات الحيوانية الممثلة على واجهاته والتي تحمل تأثيرات فارسية (Butler, 1907).

وأكد فنسنت من خلال دراسة ميدانية للبناء أنه يمثل معبداً وحاول ربط البناء بالميثولوجيا الدينية المرتبطة بالإله زيوس إله المياه والنوافير وذلك استناداً إلى وفرة المياه في المنطقة ، كما قارن هذا البناء مع بناء عمريت في لبنان (Vincent, 1956).

أما أولمان فقد قارن هذا البناء مع أبنية مشابهة له في سوريا مثل معبد الدمير ومعبد السلم في صور (Nielsen 1994). ونقلاً عن ول ولارشي فقد أشار كالنج أن هذا البناء مقام على نفس طراز معبد هيكل القدس (Will and Larche, 1991).

ويذهب برت إلى تاريخ هذا البناء للعصر الهلنستي واعتباره معبداً ، بل ويذهب بوسنك في دراسة أجراها عام ١٩٨١ إلى أن البناء معبد لأكثر من إله ويسمي يهوه والإله بعل شمين كآلهة لهذا المعبد. انظر المزيد من التفاصيل (Will and Larche, 1991).

وهكذا يتضح لنا مدى أهمية الجانب الديني في هذا البناء كونه يمثل معبداً ذو دلالات دينية واضحة أكدها أكثر من باحث ، علماً أن بعض الباحثين أشار إلى احتمال أن يكون البناء قصراً ، وسواء كان معبداً أو قصراً فإن جهداً عمائرياً وفنياً بذل في سبيل إقامة هذا البناء وأن غالبية الباحثين يؤكدون أنه بناء ذو أغراض دينية ربما تكون وثنية ، ولكن الآخرين يحاولون ربط البناء بطرز العمارة البيزنطية وخاصة الكنائس وهذا ما سأوضحه لاحقاً.

ولعد عدم اكتمال البناء قد أضعف التفسيرات الشاملة لحقيقة البناء الدينية كونه يمثل طرازاً في العمارة الدينية لا يوجد له شبيه متطابق خلال العصور الهلنستية سواء في الأردن أو خارج الأردن ، مما دفع البعض إلى البحث عن مؤثرات يونانية أو فارسية في هذا البناء من خلال مقارنته مع مباني مشابهة له بشكل تقريبي من فترات زمنية مختلفة.

وفيما يتعلق بالعصور الكلاسيكية وهي العصر الروماني والبيزنطي فإن كهف البصة يمثل نموذجاً فريداً في موقعه ومحيطه الأثاري حيث تنتشر المقابر المقطوعة في الصخر وبقايا أعمال التحجير في محيط الكهف والتي ترجع إلى العصر الروماني ، حيث اختار السكان تلك المنطقة لدفن موتاهم خلال تلك الفترة الزمنية مما يدفع إلى الاستفسار عن حقيقة سكان المنطقة خلال فترة العصر الروماني وبداية انتشار الدعوة المسيحية في مواجهة الوثنية، ولعل توافر عناصر عديدة مهمة قد دفع الكثير من المؤمنين باللجوء لهذا المكان ومن أبرز هذه العناصر وفرة سبل الحياة المختلفة إضافة إلى كون المنطقة تشكل ممراً طبيعياً يوصل ما بين منطقة الأغوار والمرتفعات ، حيث يعتبر جريان المياه في منطقة وادي عراق الأمير عامل جذب للإقامة والعبور في كلا الاتجاهين.

هذا إضافة إلى قرب هذه المنطقة من مدينة فيلادلفيا (عمان) إحدى مدن الديكابوليس وكذلك مواقع دينية هامة مثل جبل نبو المرتبط بذكر سيدنا موسى عليه السلام ومنطقة وادي الخزر على الجانب الشرقي من نهر الأردن (المغطس).

وليس غريباً أن نجد بعض الدلائل التي تشير إلى أن انتشار الديانة المسيحية في منطقة عراق الأمير كان له علاقة مرتبطة بالكهوف والمغاور فيها وخاصة مغارة أو كهف البصة ، فقد كانت هذه المنطقة تسمى خلال القرن الميلادي الأول (تيرو) أو تيروس Tyrosاستناداً إلى وصف المؤرخ جوزيفوس أثناء سرده شرحاً عن موقع قصر العبد حيث نقتبس منه ما يلي:

(And when he had brought the place to this state, he named it Tyre, this place is between Arabia and Judea, beyond Jordan, not far from the country of Heshbon …) (Josephus 12 Antiq, IV).

كما يرد اسم المنطقة (تيرو) في إنجيل برنابا على أن السيد المسيح قد لجأ إلى أحد كهوفها[٣]، مع العلم أن هذا الإنجيل كان مازال معتمداً في الاسكندرية حتى عام ٣٢٥م ، وبدون شك بأن الإشارة تدل هنا على كهف البصة الذي أشرنا إليه وإلى الكنائس الموجودة في داخله وعلى مدخله الخارجي مما يشير إلى أن البيزنطيين قد اعتمدوا هذا الكهف دون غيره من الكهوف المجاورة ويعود سبب ذلك ربما إلى تقاليد متوارثة من العصر الروماني استمرت خلال العصر البيزنطي وظهرت واضحة بعد إعلان المسيحية كدين رسمي للدولة الرومانية وتحويلها إلى بيزنطية ، وإذا ما ارتبط هذا الكهف بجولة السيد المسيح في ربوع الأردن فإن الكهف يعتبر نقطة توقف ذات اعتبارات خاصة مرتبطة بالقداسة ، حيث كان السيد المسيح يتجول في البلدات والقرى يدعو الناس ويشفي المرضى[٤]، وليس من الغريب أن نجد بناء كنيستين في مغارة صخورها كلسية وجيرية هشة على طرف وادي عراق الأمير ، حيث استمر الرهبان ورجال الدين يقيمون قرب مجاري المياه في المرتفعات الصخرية ليس بعيداً عن نهر الأردن ، وحيث أن الكنائس المكتشفة قد زادت من قداسة الكهف وجعلته محط أنظار، لا بل ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار بناء قصر العبد بأنه ذو طراز بازليكي.

ونقلاً عن فرانكفورت يشير لانجيه عام ١٨٨٩ في كتابه Houses and Halls إلى أن بناء قصر العبد ذو طراز بازليكي ، بينما ذهب بوخشتاين عام ١٨٩٢ إلى مقارنة القصر مع كنائس شمالي سوريا وربط بينهما ثم عاد وأطلق على القصر تسمية (بيت هيلاني) على اعتبار أن بداية العبادة للمسيحيين كانت تتم في مثل هذا الطراز من البيوت (Frankfort 1952) .

ومع الأخذ بعين الاعتبار أن المسافة بين قصر العبد وكهف البصة لا تتجاوز بضع مئات من الأمتار فإن الربط بين كهوف عراق الأمير وقصر العبد وكهف البصة أصبح ممكناً واستمرت منطقة عراق الأمير تزخر بكهوفها المقدسة وتحمل ذكريات من الماضي لأولئك المؤمنين الذين أقاموا في هذه الكهوف وتركوا لنا مخلفات وشواهد أثرية وتاريخية هامة ، كما أن التسميات التي ما زالت ليومنا الحاضر تحمل في طياتها دلالات متعددة مثل الوادي المرتبط بقصر العبد والمسمى بـ وادي الصليب ، إضافة إلى كثرة انتشار المقامات في المنطقة حتى وقتنا الحاضر ومنها مقام الولي نصير ، مقام أبو لوزة ، مقام عبيد الطيار وغيرها من المقابر والأضرحة التي ما زالت شاهدة على قداسة منطقة عراق الأمير عبر العصور.

---

[٣] جاء في إنجيل برنابا ((ولما خلا يسوع بكهف في البرية في تيرو على مقربة من الأردن دعا الاثنين والسبعين مع الاثني عشر ، وبعد أن جلس على حجر أجلسهم بجانبه)) برنابا ٩٩ : ١-٢ .

[٤] ورد في الكتاب المقدس الإنجيل العديد من الآيات التي تشير إلى جولات السيد المسيح شرقي نهر الأردن منها متى ١٩ : ١-٢ / ٣-١٢ / ١٣-١٥ / ٢٠ : ٢٧-٢٩ ، لوقا ١٠ : ١ / ١٣ : ١٠-١٧ / ١٣ : ٢٢-٣٥ / ١٤ : ١-٣٤ / ١٧ : ٢٠-٣٧ / ١٨ : ١-٨ .